أحمد عز الدين أسعد*

من وحي الأفكار الصهيونية الأساسية:

صورة أرض إسرائيل (فلسطين) وتمثّلاتها لدى التيارات الصهيونية المختلفة

مقدمة

تحاول هذه الورقة استشكال صورة أرض إسرائيل في خطاب المفكرين الصهيونيين وتمثلاتها كسؤال للبحث، وتهدف إلى التعرف على دلالات أرض إسرائيل وصورها وتمثلاتها في الخطاب الفكري الصهيوني التأسيسي، وخصوصًا في كتاب الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية[1]، وكتاب تاريخ الصهيونية (١٨٦٢- ١٩٤٨)[2]. تنشغل الورقة في استكشاف تمثلات صورة أرض إسرائيل وتعبيراتها فكريًا، سياسيًا، جغرافيًا، طوبوغرافيًا، دينيًا وروحانيًا، ولا تهدف إلى تفكيك أسطورة أرض إسرائيل وفق الخطاب الصهيوني الاستعماري، وهي المهمة التي تصدى لها المؤرخ الإسرائيلي شلومو ساند ضمن مشروعه البحثي في تفكيك الهوية اليهودية القومية.

ويجدر التوضيح أن الورقة تستخدم لفظة أرض إسرائيل ليس تماهيًا بالخطاب الصهيوني أو تبنيًا له، وإنما كمصطلح شائع في المصادر الأولية التي تعالجها الدراسة، ويعود انتشار هذا المصطلح بكثافة في هذه النصوص إلى موجة الترجمة إلى العبرية في ظل الأيديولوجيا الصهيونية، والتي حولت كل الكلمات والدلالات التي كانت تدل على أرض فلسطين، وحولتها إلى أرض إسرائيل.[3]

تعرض الورقة، بالرجوع إلى النصوص الأساسية للمفكرين الصهيونيين، دلالات مصطلح أرض إسرائيل وصوره، وتحاول استقراء تلك الصورة في ظل التيار الصهيوني الذي ينتمي إليه المفكر الصهيوني، وتحاول ربط تحولات صورة أرض إسرائيل بنظريات القومية الحديثة التي تأثر بها المفكرون الصهاينة في أوروبا الشرقية والغربية. ويجدر التنويه أن هناك صعوبات في

* باحث في الدراسات العربية والإسرائيلية– فلسطين

لم تقتصر عملية التحول القومي على أرض إسرائيل وحدها؛ وإنما حدثت علمية تحول بالجملة لليهود كجماعات ولكتابهم المقدس التوراة، الذي أصبح مرجعًا للتاريخ القومي، وتم إعادة بعث اللغة العبرية القديمة من أجل اكتمال عملية قومنة اليهودية.

تصنيف المفكرين الصهيونيين ضمن تيارات مركزية، فهناك تنافذية في أفكار المنظرين الصهيونيين، بحيث يمكن تصنيفهم ضمن أكثر من تيار، باستثناء بعض المفكرين ذوي الأفكار الواضحة وغير التوليفية (المختلطة والمتداخلة)، وهذا ما يؤكد أن عملية التصنيف ضمن التيارات المختلفة ليست إكلينيكية، بقدر ما هي تقريبية ولأغراض استكشافية وبحثية لتوضيح صورة أرض إسرائيل في الفكر الصهيوني التأسيسي.

أولًا. أرض إسرائيل كسؤال للبحث

بين صبري جريس كيف سخرت الصهيونية الديانة اليهودية لخدمة أغراضها، وحملت اليهود والعالم المسيحي على الاقتراب من أهدافها السياسية. وأهم جانب ديني قامت به الصهيونية هو التركيز على ما يسمى العلاقة التاريخية بين اليهود وأرض إسرائيل.[٤] وحاول جريس تقصي حدود أرض إسرائيل لدى عدد من المفكرين والباحثين الصهيونيين، واستنتج أن اسم أرض إسرائيل يطلق وفقًا للتعاليم اليهودية على الجزء الواقع جنوب غرب آسيا، وبحسب المصطلحات الجغرافية المعاصرة تشمل فلسطين بحدودها أيام الانتداب، وأجزاء من الدول المجاورة مثل : لبنان، سورية، الأردن، ومصر. ويعتبر اليهود هذه المنطقة، مهد تكونهم وتبلورهم. وتعود جذور اسم أرض إسرائيل إلى التوراة وفق الرؤية اليهودية. كما يجادل جريس أن جوهر العلاقة بين اليهود وأرض إسرائيل، بما في ذلك حدود أرض إسرائيل نفسها، ليست واضحة تمامًا، وتختلف باختلاف ما جاء عنها في التوراة، أو في الكتب اليهودية المقدسة الأخرى، وهو اختلاف يعود أساسًا إلى عامل الزمن وتأثير طبائع العصر الذي كتبت فيه التوراة أو أي جزء منها.[٥]

في حين ينقل جريس عن بنتسيون كاتس أن الحدود الطبيعية لأرض إسرائيل تصل مساحتها نحو ٥٩ ألف كيلو متر مربع، منها النصف غربي من نهر الأردن (أرض إسرائيل الغربية)، والنصف الأخر شرقي النهر (أرض إسرائيل الشرقية)، وهي الحدود التي وعد الله بها موسى النبي. وهذه هي حدود المنطقة التي طلبت المنظمة اليهودية العالمية، من مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩ الاعتراف بها على أنها وطن قومي لليهود.[٦]

لا بد من الإشارة في الرد على ادعاء أرض إسرائيل لدى المفكرين الصهيونيين؛ إلى اطروحة المؤرخ الإسرائيلي شلومو ساند الذي فكك أسطورة أرض إسرائيل، وكل أسطورة القومية اليهودية (الأرض، الشعب، التوراة)، وقد عبر ساند عن موقفه من فكرة أرض إسرائيل بقوله «أن الأرض المقدسة كانت على نحو ما، بالنسبة إلى آخرين، مفهومًا اليغوريًا وليس واقعيًا– مكانة داخلية روحانية وليست موقعًا إقليميًا معينًا.»[٧] أي أن ساند يفك لغز أرض إسرائيل بأنها أرض روحية وليست أرضا جغرافية أو إقليما محددا بحدود جيوسياسية.

كما يبين ساند أنه لم يظهر اسم إقليمي عبري موحد في أسفار التناخ، وقد ظهر الاسم الفرعوني للمنطقة (أرض كنعان) - وأن مفهوم الحيز الأساسي لمؤلفي التناخ يتوافق مع شهادات أخرى من العصر القديم، لا يظهر في أي نص أو اكتشاف أثري لقب (أرض إسرائيل) كحيز جغرافي معروف ومألوف.[٨] ويضيف ساند أن أرض إسرائيل كأحد اسماء المكان العديدة مثل: أرض مقدسة، أرض كنعان، أرض صهيون، والأرض البهية كان اختراعًا مسيحيًا ورباينيًا؛ أي لاهوتيًا، وفي وقت متأخر، وليس بأي حال كمكان سياسي.[٩] كما يجادل ساند باختلاف مصطلحات أرض إسرائيل، وشعب إسرائيل عن التفسير اللغوي الحديث في عصر القوميات. وفقط في بداية القرن العشرين؛ أي بعد أن مكثت لأعوام في المطهر البروتستانتي، وحولت نهائيًا أرض إسرائيل اللاهوتية ولمعت كمصطلح جيوسياسي واضح.[١٠]

لم تقتصر عملية التحول القومي على أرض إسرائيل وحدها؛ وإنما حدثت علمية تحول بالجملة لليهود كجماعات ولكتابهم المقدس التوراة، الذي أصبح مرجعًا للتاريخ القومي، وتم إعادة بعث اللغة العبرية القديمة من أجل اكتمال عملية قومنة اليهودية. وأن عملية القومنة هذه هي نتاج لمسار الحداثة الأوروبية المريك الذي عجر عن استيعاب اليهود وإدماجهم في المجتمعات الأوروبية، بعد

لقد مثلت اجتهادات الحاخامين كاليشر والقلعي وفق رأي صبري جريس؛ مرحلة أولى لتيار فكري داخل اليهودية، يستمد قوته من التعاليم الدينية التلمودية، ويمزجها مع الوسائل السياسية الضرورية لتحقيق الفرائض المنصوص عليها في تلك التعاليم من حيث العلاقة مع أرض إسرائيل واستيطانها، وعرف هذا التيار باسم الصهيونية المتدينة.

فشل مشروع الاستنارة الأوروبي،[11] ومع تصاعد موجة القوميات الأوروبية، تلقف المفكرون الصهاينة الفكرة القومية، وكل منهم طرحها وفق رؤيته وطبيعة المجتمع الذي يقطن فيه، وطبيعة تربيته وثقافته وتدريبه الأكاديمي والعلمي.

ثانيًا. بيوغرافيا الأفكار الصهيونية

صورة الأرض لدى الصهيونية الدينية التقليدية

يقول يهودا القلعي (١٧٩٨– ١٨٧٨) «نحن كشعب، يليق بنا أن نلقب بإسرائيل فقط إذا كنا في أرض إسرائيل» وقبل العودة إلى الأرض المقدسة من الواجب تعيين مجلس حكماء «كي يعملوا على مراقبة الوصايا التي ستطبق، وخاصة في الأرض المقدسة».١٢ كما بين زفي هيرش كاليشر (١٧٩٥– ١٨٧٤) أن «الخلاص سيبدأ بمساندة المحسنين وبكسب موافقة الأمم على لم شمل بعض الإسرائيليين في الأرض المقدسة... (ويقترح كاليشر) تأسيس منظمة هدفها الأساسي تشجيع الاستيطان في الأرض المقدسة... هناك فائدة أخرى للاستيطان الزراعي، ألا وهي فائدة تطبيق الوصايا الدينية المتعلقة بالعمل في تربة الأرض المقدسة.»[13]

يرى كاليشر أن حل المسألة اليهودية يتم بواسطة توطين اليهود في فلسطين، وإقامة كيان لهم فيها، ويجادل بأن علاقة اليهود بأرض إسرائيل والتوراة هي علاقة أزلية، لا يمكن فصلها، ويرى أن هجرة اليهود إلى أرض إسرائيل، واستيطانهم فيها، قبل أي بلد آخر هو فريضة ينبغي على اليهودي المؤمن تأديتها.[14] كما يرى كاليشر أن العمل والاستيطان في أرض إسرائيل يحقق بداية الخلاص (اتحلتا دغيئولاه) لليهود، ويسرع ظهور المسيح المخلص لينقذ اليهود.[15]

لقد مثلت اجتهادات الحاخامين كاليشر والقلعي وفق رأي صبري جريس؛ مرحلة أولى لتيار فكري داخل اليهودية، يستمد قوته من التعاليم الدينية التلمودية، ويمزجها مع الوسائل السياسية الضرورية لتحقيق الفرائض المنصوص عليها في تلك التعاليم من حيث العلاقة مع أرض إسرائيل واستيطانها، وعرف هذا التيار باسم الصهيونية المتدينة.[16] يتبين أن صورة الأرض لدى هذا التيار الصهيوني مرتبطة بفكرة أرض إسرائيل كمكان للخلاص، ومرتبطة بالتوراة بعلاقة أزلية. وإن استيطان أرض إسرائيل هو فريضة دينية، ويشترط القعلي ارتباط أرض إسرائيل بمجلس حكماء من أجل مراقبة تطبيق الوصايا الدينية؛ وبذلك يصور هذا التيار أرض إسرائيل بنكهة دينية توراتية ولاهوتية خلاصية.

صورة الأرض في الإرهاصات الصهيونية القومية المبكرة والصهيونية القومية

يقول بيرتس سمولنسكين (١٨٤٢– ١٨٨٥) «كنا دائمًا أمة روحية وكانت التوراة ركيزة دولتنا. آمن شعبنا منذ البداية أن التوراة أسبق من أرضنا ومن هويتنا السياسية.»[17] ويضيف: لا توجد أرض تقبل المنفيين بمحبة أرض إسرائيل، وفقط في هذه الأرض سيجدون الحقيقة والسلام الدائم. وطرح تصورا مفاده أن هناك عدة مميزات لأرض إسرائيل بالنسبة إلى الهدف الصهيوني لا تتوفر في الهجرة إلى أميركا الشمالية أو الجنوبية: سيذهب أولئك الذين يحيون ذكريات أسلافهم عن طيب خاطر إذا تأكدوا من أنهم سيكسبون معيشتهم هناك؛ الأرض المقدسة ليست بعيدة من مساكنهم القديمة؛ يستطيع المهاجرون كلهم أن يسكنوا معًا وفقًا لتقاليدهم المرعية؛ الذين يعيشون بقنوط في أرض إسرائيل ستتغير روحهم تدريجيًا إلى حياة عمل منتجة، وبالتالي سينجو الآلاف من الشرور التي تخلقها حياة الكسل؛ لو كانت أرض إسرائيل بأيدي اليهود لكانت قد تحولت إلى مركز تجاري يربط أوروبا بآسيا وأفريقيا؛ ويستطيع المستوطنون إقامة مصانع للزجاج والمنتوجات المشابهة لأن رمال الأرض المقدسة ذات نوعية عالية.[18]

لقد جادل اليعازر بن يهودا (١٨٥٨- ١٩٢٣) بأن إحياء اللغة العبرية لا يتم إلا بإحياء الأمة اليهودية؛ «لا نستطيع تعلم اللغة العبرية إلا في بلد عدد سكانه اليهود أكثر من عدد سكانه الأمميين، لذا دعونا نرفع عدد اليهود في أرضنا المقفرة، ولتعد بقية شعبنا إلى أرض الأجداد».[١٩] لقد تأثر اليعازر بن يهودا بالفكرة القومية وحقوق الشعوب، وكان موقفه من المسألة اليهودية قد تجلى من رؤيته أن اليهود وحدة قومية قائمة بحدّ ذاتها، ودعا إلى استيطان أرض إسرائيل لأن القومية تحتاج إلى ثلاثة عناصر: بلاد، لغة قومية، ثقافة قومية.

لقد جادل اليعازر بن يهودا (١٨٥٨– ١٩٢٣) بأن إحياء اللغة العبرية لا يتم إلا بإحياء الأمة اليهودية؛ «لا نستطيع تعلم اللغة العبرية إلا في بلد عدد سكانه اليهود أكثر من عدد سكانه الأمميين، لذا دعونا نرفع عدد اليهود في أرضنا المقفرة، ولتعد بقية شعبنا إلى أرض الأجداد».[١٩] لقد تأثر اليعازر بن يهودا بالفكرة القومية وحقوق الشعوب، وكان موقفه من المسألة اليهودية قد تجلى من رؤيته أن اليهود وحدة قومية قائمة بحدّ ذاتها، ودعا إلى استيطان أرض إسرائيل لأن القومية تحتاج إلى ثلاثة عناصر: بلاد، لغة قومية، ثقافة قومية.[٢٠] في حين اقترح موشيه ليلينبلوم (١٨٤٣– ١٩١٠) ثلاثة اقتراحات كسبل للخلاص اليهودي، وكان الخيار الثالث «أن نبذل جهودنا لإحياء إسرائيل في أرض أجدادنا حيث ستحصل الأجيال القادمة على حياة طبيعية بكل معنى الكلمة.»[٢١] وعارض ليلينبلوم،الحلول العملية للمسألة اليهودية مثل إقامة دولة في أميركا الشمالية كون مثل تلك الدولة لن يكون لها طابع الدولة اليهودية المستقلة، ولهذا فالحل يكمن في استيطان أرض إسرائيل وهذا هو العلاج الوحيد كي يتجنب اليهود الإبادة.[٢٢]

تنطلق فلسفة جاكوب كلاتسكين (١٨٨٢–١٩٤٨) من أن الأمة يجب أن يكون لها أرض ولغة، في حين القومية اليهودية لا تنكر القيم الروحية اليهودية، ولكنها ترفض أن ترضخ هذه القيم إلى مستوى المقياس الذي تعرف به الأمة القومية اليهودية، وترفض أن تعرف اليهودي كشيء ذاتي، وتقبل أن تعرف اليهودي على أساس موضوعي، أي على أساس لغة وأرض، هذان هما العنصران الأساسيان في الكيان القومي.[٢٣] ويرى أن «أرض إسرائيل هيكل لجوهر الأمة الروحي.»[٢٤]

في حين يجادل مخائيل بانس (١٨٤٢– ١٩١٢) حول كيفية تطعيم فكرة القومية العلمانية في الشعب اليهودي، مع العلم أن هذه العملية تحتاج إلى صفتين أساسيتين للقومية التقليدية وهما: أرض واحدة ولغة واحدة، كما ربط النهضة اليهودية بالدين.[٢٥]

يتبين أن صورة أرض إسرائيل لدى هذا التيار تتمثل في عدد من الصور، منها: السلبية ومنها الإيجابية، ولكل منهما دلالات وإشارات، وتتجلى الصورة الإيجابية في دلالات: أرض الأجداد، الأرض المقدسة، مركز تجاري رئيسي، أرض الحقيقة والسلام الدائم، جوهر الأمة الروحي. أما دلالات الصورة السلبية لأرض إسرائيل فقد برزت في صورة: الأرض القاحلة، الأرض المقفرة. لقد حاول التيار الصهيوني القومي تصوير أرض إسرائيل بصورتين؛ الصورة الإيجابية لغرض تشجيع حركة الهجرة والاستيطان إليها كونها: أرض الأجداد والأحلام والذكريات والحقيقة؛ وبذلك عمل هذا التيار على وضع حجر الأساس في عملية قومنة أرض إسرائيل، أما النزعة الأخرى التي اتبعها هذا التيار وهي خلق صورة سلبية عن أرض إسرائيل، بأنها: أرض جرداء وقاحلة؛ وذلك لتبرير عملية الاستيطان والاستعمار في تلك الأرض التي لهم فيها ذكريات قومية وتاريخية، وهي أرض عذراء متعطشة لاحتضان الاستعمار حتى يحييها ويحولها لمركز تجاري وأرض السلام والحقيقة، وقد تأثر هذا التيار بموجة القومية الأوروبية التي بزغت في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا.

صورة الأرض لدى الصهيونية السياسية

تجلى موقف ثيودور هيرتسل (١٨٦٠– ١٩٠٤) نحو حل المسألة اليهودية في تقديم منحة من قبل القوى العظمى، وخصوصًا قطعة أرض محايدة، بعدها تتدخل الجمعية اليهودية في مناقشات لاستملاك قطعة الأرض تلك. وقد بين أن هناك منطقتين هما فلسطين والأرجنتين، كما ستكون فكرة خلق دولة يهودية وفق رؤية هيرتسل مفيدة للأراضي المجاورة لأن استثمار قطعة أرض ضيقة سيرفع من قيمة الأراضي المجاورة، وأشار إلى أن أرض الأرجنتين من أخصب بلاد العالم، أما فلسطين فهي وطنه التاريخي الذي لا يمكن نسيانه.[٢٦] في حين يرى ماكس نوردو

تتجلى صورة أرض إسرائيل أو الأرض التي بإمكانها حل المشكلة اليهودية بعدد من السمات والصور وفق تيار الصهيونية السياسية وأهم تلك الصور: أرض محايدة، أن تكون ذات مراكز جيدة وخصبة وحسنة، وذات مساحة كافية وأرض متواصلة، وحول جغرافيا هذه الأرض طرحت عدة جغرافيات منها فلسطين، الأرجنتين، أوغندا، أميركا الشمالية، وتركيا.

(١٨٤٩– ١٩٢٣) أن أمام الصهيونية مهمتان رئيسيتان: المهمة الأولى، الحصول على أرض إسرائيل للشعب اليهودي، وتهيئة الشعب اليهودي لأرض إسرائيل، والمهمة الثانية أهم من الأولى.[٢٧]

كما بين يهودا لايب بنسكر (١٨٢١– ١٨٩١) سمات الأرض التي تلبي رغبات الصهيونية السياسية، ويقول: يجب أن تكون الأرض التي نحن بصدد شرائها ذات مراكز جيدة وخصبة، ومساحتها كافية لإسكان عدة ملايين، يجب أن تكون الأرض التي ستصبح ملكًا للأمة لا تجزؤ فيها؛ لأن حل المشكلة اليهودية يكمن في «أن نملك قطعة أرض كبيرة نعوض بها عن تشتتنا، أننا نريد ملجًأ واحدًا، لأن وجود عدة ملاجئ سنعيد خلق معالم تشتتنا القديمة».[٢٨] وأضاف بنسكر سمات أخرى للأرض وهي «أن تكون أرضا خصبة، في حالة حسنة، ومساحة كافية لتوطين بضعة ملايين، وأرض تصبح ملكًا قوميًا أبديًا وملائمة لمتطلبات اليهود، ويمكن أن تكون هذه الأرض في أميركا الشمالية أو في تركيا بآسيا.»[٢٩]

تتجلى صورة أرض إسرائيل أو الأرض التي بإمكانها حل المشكلة اليهودية بعدد من السمات والصور وفق تيار الصهيونية السياسية وأهم تلك الصور: أرض محايدة، أن تكون ذات مراكز جيدة وخصبة وحسنة، وذات مساحة كافية وأرض متواصلة، وحول جغرافيا هذه الأرض طرحت عدة جغرافيات منها فلسطين، الأرجنتين، أوغندا، أميركا الشمالية، وتركيا. يتبين أن صورة الأرض لدى هذا التيار صورة براغماتية ووظيفية، أكثر من التصورات القومية الرومانسية والدينية اللاهوتية؛ فالصهيونية السياسية لا ترى في الأرض فكرة قومية خالصة أو ثالوثًا مقدسًا مثل الصهيونية الدينية المعاصرة والصهيونية القومية، فالأرض في مخيال الصهيونية السياسية تتجلى كمكان للسكن، ولحل المشكلة اليهودية، ولا توجد مشكلة في جغرافيا المكان، سواء أكان في شرق أم غرب العالم، أو أينما كان، لكن يجدر التنويه أن التيارات الصهيونية الأخرى عارضت تصورات الصهيونية السياسية وهاجمتها بخصوص مكان إقامة الوطن اليهودي، وسعت بشكل حثيث للتركيز على فلسطين كوطن قومي.

صورة الأرض لدى الصهيونية الروحية/ الثقافية

يجادل احاد هاعام (١٨٥٦– ١٩٢٧) بأن الدولة اليهودية لا تعني لم شمل اليهود المنفيين؛ وإنما توطنين جزء من الشعب اليهودي في فلسطين، ويتساءل «كيف يؤدي هذا إلى حل المشكلة المادية لجماهير اليهود في أرض الشتات؟ ويجب أن تنتهي المشكلة المادية ببناء الدولة اليهودية... وأن الأسس الحقيقية للصهيونية يجب أن تكون في المشكلة الروحية، وأن حل المسألة اليهودية يكون بدمج الجانب المادي مع الجانب الروحي، والدولة بذلك تكون مركزا روحانيا.»[٣٠] تنطلق فكرة احاد هاعام أن تكون أرض إسرائيل مركزا قوميا روحيا، وأن تأسيس معهد واحد كبير في أرض إسرائيل للعلوم أو الفنون، أو أكاديمية للغة أو للأدب يشكل مشروعا قوميا كبيرا، ومجدا يقرب اليهود أكثر من مائة مستعمرة زراعية؛ إن مؤسسة علمية كبيرة في أرض إسرائيل تساعد على تجديد روح الشعب وتبعث حياة حقيقية في تراثه القومي.[٣١]

كما تنطلق رؤية احاد هاعام من عدم قدرة أرض إسرائيل على استيعاب كل أبناء شعبنا المشردين من وطنهم، ولذلك فإن الجانب المادي والاقتصادي في المسألة اليهودية يجب أن يجد إجابته في أميركا، في حين الجانب المثالي المعنوي المتمثل بضرورة أن نخلق لأنفسنا مركزًا دائمًا عن طريق توطين جمهور كبير من إخوتنا في مكان واحد على أساس فلاحة الأرض واستصلاحها، وتكون مهمة إعمار أرض إسرائيل واستيطانها ملقاة على عاتق مجموع الشعب».[٣٢]

يتبين أن تيار الصهيونية الثقافية الروحانية يصور أرض إسرائيل كمركز قومي روحي، ويرى بأن أرض إسرائيل لا يمكنها استيعاب كل اليهود، ويعوضها من الناحية المادية بإنشاء مركز

ربط تيار الصهيونية العملية صورة أرض إسرائيل بالعمل والتضحية، وصَوّرَ أرض إسرائيل كمكان لحل المشكلة اليهودية القومية، ووصفها بمركز شعب الله، مركز للعمل القومي، أم اليهود، والعودة إلى أرض إسرائيل تتم عبر العمل على تطبيق وصايا التوراة، والعمل يؤدي إلى استيطانها.

ثقافي روحاني حضاري؛ يعوض اليهود الذين لا يتمكنون من العيش في أرض إسرائيل.

صورة الأرض لدى الصهيونية العملية

يرى أرون ديفيد غوردون (١٨٥٦– ١٩٢٢) أن «هناك طريقا واحدا فقط يمكن أن تقودنا إلى الانبعاث، إنها طريق العمل اليدوي، طريق حشد كل طاقاتنا القومية، طريق التضحية المطلقة من أجل مثلنا الأعلى ومن أجل القيام بواجبنا، أن آلاف الحقوق الإسمية لن تكسبنا حقنا القومي، فكل ما نملك من ألقاب بالنسبة لأرض فلسطين لم تعطنا حقًا حقيقيًا فيها. ليس لدينا حقوق قومية الآن لأن شعبنا لم يدفع ثمنها بعد، فالشعب يستطيع اكتساب أرضه بجهده هو، وبمعرفة قواه الروحية والجسدية الكامنة... وأن شعبنا يمكن أن يمنح الحياة فقط إذا ما حاول كل فرد أن يعود نفسه على العمل والعيش قرب الطبيعة.»[٣٣] كما اقترح غوردون حل المسألة اليهودية بواسطة إعادة اليهود إلى أرض إسرائيل، لكي يقيموا فيها الدولة اليهودية من جديد، وبذلك تحل المسألة اليهودية، كأي مشكلة قومية اعتيادية.[٣٤]

كما يجادل غوردون أن الحضارة اليهودية الجديدة لا يمكن أن تنشأ إلا في فلسطين؛ لأن أرض إسرائيل هي مركز شعب الله، وهي يجب أن تصبح مركزاً لوحدة الشعب وتطلعاته القومية وعمله القومي، وإن كانت أرض لا تتسع لكل اليهود، فذلك ليس مصيبة لأن الأجزاء المشتتة من اليهود يمكن أن تصبح بمثابة أغصان تمتد خارج دائرة نموها. وأن أم اليهود أرض إسرائيل تتطلب منهم الروح والجسد معًا.[٣٥]

في حين بين صموئيل موهيلفير (١٨٢٤– ١٨٩٨) بأنه «يجب على جميع أبناء صهيون أن ينتقلوا إليها ويؤمنوا إيمانًا تامًا بأن عودتنا للإقامة في بلادنا – أي شراء الأراضي وتعمير البيوت وزرع البساتين وفلاحة الأرض– هي إحدى وصايا التوراة الأساسية... التوراة هي مصدر حياتنا يجب أن تكون أساسا لإعادتنا إلى أرض آبائنا.»[٣٦]

أيضًا يقول صموئيل حاييم لانداو (١٨٩٢– ١٩٢٨) تخلق أرض إسرائيل من جديد من خلال فكرة (التوراة والعمل)، والتوراة هي تراث إسرائيل، ومصدر لثقافة الشعب اليهودي، والعمل عنصر أساسي في استيطان أرض إسرائيل.[٣٧]

ربط تيار الصهيونية العملية صورة أرض إسرائيل بالعمل والتضحية، وصَوّرَ أرض إسرائيل كمكان لحل المشكلة اليهودية القومية، ووصفها بمركز شعب الله، مركز للعمل القومي، أم اليهود، والعودة إلى أرض إسرائيل تتم عبر العمل على تطبيق وصايا التوراة، والعمل يؤدي إلى استيطانها. لقد صورت الصهيونية العملية أرض إسرائيل مكان للخلاص القومي والسياسي الذاتي قبل الخلاص الرباني الخارجي، وهذا الطرح عزز من صورة الأرض كمكان جغرافي يستحق العمل والتضحية والجهد والاستيطان؛ من أجل حل المشكلة اليهودية في أرض إسرائيل.

صورة الأرض لدى الصهيونية الدينية التجديدية

تنطلق رؤية أبراهام إسحق كوك (١٨٦٥– ١٩٣٥) عن أرض إسرائيل بأنها ليست «شيئًا منفصلًا عن روح الشعب اليهودي؛ إنها ليست مجرد ملكية قومية تستخدم لتوحيد شعبنا، ولدعم وجوده المادي وحتى الروحي. أرض إسرائيل هي جزء من جوهر وجودنا القومي، ومرتبطة بحياة الوجود وبكيانه الداخلي ارتباطًا عضويًا... إن اعتبار أرض إسرائيل مجرد أداة لإقامة وحدتنا القومية، أو حتى لحفظ ديننا في الشتات عن طريق المحافظة على معتقداته وشعائره، هي فكرة عقيمة وغير جديرة بقدسية أرض إسرائيل، ذلك أن أي تثبيت صحيح لليهودية في أرض الشتات ممكنًا فقط عن طريق التعلق بأرض إسرائيل، وأن أمل العودة إلى الأرض المقدسة هو مصدر إعطاء اليهودية صفتها المميزة، وكذلك فإن أمل الخلاص هو القوة التي تقوي اليهودية في الشتات، إذ يمكن اعتبار يهودية أرض إسرائيل الخلاص بعينه. والإبداع اليهودي لا يمكن تحقيقه إلا في أرض إسرائيل، لا يستطيع

اقتربت صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية الدينية من صورتها لدى منظمة المزراحي، وأهم تجلياتها لدى هذا التيار أنها: جزء من الجوهر القومي، أرض الخلاص، أرض الإبداع والصدق، ومصدر للتميز.

يجدر التنويه أن هذا التيار من أهم التيارات الصهيونية الذي عمل على قومنة اليهودية من خلال مركباتها الثلاث: الشعب والأرض والتوراة، فاليهود تمت قومنتهم ليصبحوا الشعب اليهودي أو شعب إسرائيل، وأرض إسرائيل.

اليهودي أن يكون مخلصًا وصادقًا في أفكاره وعواطفه وخيالاته في أرض الشتات كما يكون في أرض إسرائيل.[٣٨]

وتقترب منظمة المزراحي (مركز روحاني، كتلة متدينة مستقلة داخل المنظمة) من هذا الطرح، وقد طرحت شعارها «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بموجب توراة إسرائيل».[٣٩]

اقتربت صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية الدينية من صورتها لدى منظمة المزراحي، وأهم تجلياتها لدى هذا التيار أنها: جزء من الجوهر القومي، أرض الخلاص، أرض الإبداع والصدق، ومصدر للتميز.

يجدر التنويه أن هذا التيار من أهم التيارات الصهيونية الذي عمل على قومنة اليهودية من خلال مركباتها الثلاث: الشعب والأرض والتوراة، فاليهود تمت قومنتهم ليصبحوا الشعب اليهودي أو شعب إسرائيل، وأرض إسرائيل كفكرة روحانية كانت سابقًا، تمت قومنتها لتصبح أرض إسرائيل، والتوراة ككتاب ديني لاهوتي تمت قومنته ليصبح كتاب التاريخ اليهودي القومي.

صورة الأرض لدى الصهيونية الليبرالية

يجادل يهوذا ليون ماغنس (١٨٧٧–١٩٦٥) حول فكرة أرض إسرائيل بمقولة «أن الشعب والتوراة يمكنهما أن يوجدا ويكونا مبدعين، كما كانا ولا يزالان موجودين ومبدعين بدون الأرض، أما الأرض فهي إحدى الوسائل الرئيسية بل هي الوسيلة الرئيسية، لإحياء وتعميق الشعب والتوراة. كما لا يمكن لفلسطين حل المسألة اليهودية للشعب اليهودي.[٤٠]

ويطرح مناحيم كابلان (١٨٨١– ١٩٨٣) أن الروابط التي تشد يهود الشتات إلى أرض إسرائيل ما هي إلا روابط دينية وثقافية... وأن دور يهود أميركا بالنسبة لأرض إسرائيل يتمثل في تقديم السند المعنوي والسياسي والاقتصادي لمشروع أرض إسرائيل الذي يعتبر العمل الحاسم في نضال إسرائيل من أجل البقاء في العالم المعاصر.[٤١]

يظهر أن هناك تراخيا في صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية الليبرالية، وتظهر دلالات أرض إسرائيل في أفكار المنظرين الصهيونيين الليبراليين بأنه لا توجد لها مكانة مركزية في فكرهم، بقدر ما يركزون على البعد الثقافي والديني، ويجادلون بأن حل المشكلة اليهودية يمكن أن يتم من خلال تقسيم فلسطين وعدم هجرة كل اليهود إليها.

صورة الأرض لدى الصهيونية التجميعية/ المركبة

يجادل حاييم وايزمان (١٨٧٤– ١٩٥٢) بأنه «نستطيع بنشاطنا وعملنا في أرض إسرائيل أن نصبح أقرب في مهمتنا السياسية، ومن لا يؤمن بذلك، فإنه لا بد وأن يكون أسيرًا لأفكار اندماجية... نحن اليهود لم نقدم كثيرًا من التضحيات بعد، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نمتلك فقط اثنين بالمئة من أرض فلسطين.»[٤٢] ويضيف «فأني لا أخاف من صغر حجم فلسطين، أو من أن فلسطين أرض جبلية وليس فيها سهول، وأن لها نهر الأردن وليس النيل. إنها فلسطيننا التي يجب أن نكافح ونعمل من أجلها»[٤٣] ويدعي «أن الله قد وعد اليهود بإعطائهم أرض إسرائيل»[٤٤]

في حين وصف دافيد بن غوريون (١٨٨٦– ١٩٧٣) أرض إسرائيل بقوله: «هذه الأرض الصغيرة فريدة كذلك، فتركيبها الجيولوجي والطوبوغرافي ووضعها الجغرافي أعطياها أهمية خاصة في التاريخ البشري.»[٤٥] ويضيف «إن استقلالنا سيتحقق عن طرق العمل واستغلال الأرض وعن طريق توسيع أفق لغتنا وثقافتنا وإتمام أساليب حكمنا الذاتي ودفاعنا عن أنفسنا...»

يظهر أن هناك تراخيا في صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية الليبرالية، وتظهر دلالات أرض إسرائيل في أفكار المنظرين الصهيونيين الليبراليين بأنه لا توجد لها مكانة مركزية في فكرهم، بقدر ما يركزون على البعد الثقافي والديني، ويجادلون بأن حل المشكلة اليهودية يمكن أن يتم من خلال تقسيم فلسطين وعدم هجرة كل اليهود إليها.

ويجادل بأن تغيير المصير القومي اليهودي يتم عن طريق وسيلتين هما: تجميع المنفيين والاستقلال في الوطن.[٤٦]

كما يضيف بن غوريون «نحن الآن، أكثر من أي وقت مضى، بحاجة إلى قوة مخلصة ورائدة. إن صحراء بلادنا تنادينا وفناء شعبنا يستصرخنا. ولكي ننقذ من تبقى- ونحن جميعًا الآن نشكل البقية بما في ذلك جاليتنا هنا في أرض إسرائيل- فإن عملنا يجب أن يتم ضمن خط واحد. فالمهمات الملقاة أمامنا بحاجة إلى جهود رائدة لم نعرف شبيها لها. علينا أن نستثمر الأراضي البور في جبال الجليل وسهول النقب ووداي الأردن وكثبان الرمل على الشاطئ وجبال يهودا.»[٤٧]

تبرز صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية التوفيقية بعدد من الصور أبرزها: أرض صغيرة، أرض جبلية، أرض الوعد الإلهي، أرض صحراء، أرض بور، أرض فيها جبال ووديان ونهر وشاطئ وصحراء. يبدو أن هناك صورة أقرب إلى الطابع الطبوغرافي لتصوير أرض إسرائيل لدى الصهيونية التوفيقة أو المركبة، وذلك يعود إلى كون هذا التيار يمزج أفكار الصهيونية السياسية مع الصهيونية العملية، وبذلك تبدو صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية التوفيقية كصورة تتجلى بشكل واضح وقابل للاستعمار لتحقيق الوعد الإلهي، لعودة اليهود إلى أرض الجليل والنقب والشاطئ وجبال يهودا.

صورة الأرض لدى الصهيونية الاشتراكية

يجادل موسى هس (١٨١٢- ١٨٧٥) بأن «عودة اليهود» تتم بتأسيس مستعمرات في أرض الأجداد، «سيعيد رأسمالكم الحياة للأرض القاحلة وسيحول عملكم وصناعتكم التربة القديمة إلى وديان مثمرة وستخلصون الأرض من براثن الصحراء، ومن ثم ستعيد شعوب العالم الاحترام لأقدم أمة بين الشعوب.»[٤٨]

أيضًا يقول نحمان سيركن (١٨٦٧- ١٩٢٤) منذ أن فقد اليهود استقلالهم القومي والسياسي في أرض إسرائيل، تعرضوا إلى اضطهاد وتضييق من قبل الشعوب المسيحية في أوروبا. ويقترح سيركن حل المشكلة من خلال تقسيم الأرض على أسس قومية، وأرض إسرائيل غير مكتظة بالسكان وينبغي أن تفرغ لهم.[٤٩] ويجادل سيركن بأن الثورة الاشتراكية توقف الصراع الطبقي وتجعل علاقة اليهودي مع بيئته علاقة طبيعية؛ لذلك يجب على اليهودي أن ينضم إلى صفوف البروليتارية، وهي الطبقة الوحيدة التي تناضل من أجل إنهاء الصراع الطبقي وتعمل على إعادة توزيع السلطة على أساس من العدالة.[٥٠] وتصوره حول الدولة اليهودية يتمثل في قوله: «إن الدولة اليهودية يمكن أن توجد إذا كانت اشتراكية فقط.»[٥١]

وقد أقر مؤتمر بوعالي تسيون القريب من هذا التيار الصهيوني الاشتراكي في مؤتمره الثاني، في كراكير خلال كانون الأول ١٩٠٩ خلق أكثرية يهودية في أرض إسرائيل، وأرض إسرائيل التي يقصدونها هي إسرائيل والدول المجاورة لها.[٥٢] يبدو أن انشغال تيار الصهيونية الاشتراكية تركز بالأساس على صورة الدولة أكثر مما ركز على صورة الأرض، كون التيارات الاشتراكية تغلب المسألة الطبقية والأممية على المسألة القومية في الغالب، لكن تيار الاشتراكية الصهيونية زاوج بين البعد الطبقي والأممي والقومي، وصور أرض إسرائيل بالمنطقة الواقعة ضمن حدود بلاد الشام؛ أي فلسطين وأجزاء من الأردن وسورية ولبنان.

صورة الأرض لدى الصهيونية التصحيحية

طالب فلاديمير جابتونسكي (١٨٨٠- ١٩٤٠) بدولة على الأرض مثل باقي الأمم، وطرح فكرة تحقيق أغلبية يهودية في أرض فلسطين، وشجع على استعمار اليهود في فلسطين كون هذا الاستعمار أنعش القطاع الاقتصادي للفلسطينيين، وتصور حدود فلسطين بأنها مؤلفة من ضفتي نهر الأردن، وبإمكانها أن تستوعب العرب ونسلهم وعدة ملايين من اليهود.[٥٣]

كما طرح جابوتنسكي خطة عمل من أجل إقامة الوطن القومي

تبرز صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية التوفيقية بعدد من الصور أبرزها: أرض صغيرة، أرض جبلية، أرض الوعد الإلهي، أرض صحراء، أرض بور، أرض فيها جبال ووديان ونهر وشاطئ وصحراء.

اليهودي في فلسطين، واهتم في الخطة بعمل دراسة جيولوجية لضفتي نهر الأردن لمعرفة الأجزاء القابلة للزراعة والتي لا يمكن إصلاحها، وخلق أرض احتياطية على ضفتي النهر تستخدم لتلبية طلبات الراغبين عربا أو يهودا.[٥٤]

يتضح أن صورة الأرض وفكرتها لدى الصهيونية التصحيحية نابعة من أفكار قريبة نوعًا ما إلى الفكر القومي المعاصر، وهذا يتضح من خلال إقامة دولة على الأرض ومن خلال خلق أغلبية يهودية، وتظهر صورة فلسطين التي يوازيها في الفكر الصهيوني أرض إسرائيل بصورة إقليم له حدود، وصورة الأرض لدى التيار التصحيحي هي كامتداد حيوي ومجال حيوي للتوسع اليهودي شرقي نهر الأردن وغربيه.

ثالثًا. الخاتمة والاستنتاجات

لقد عملت الحركة الصهيونية بتياراتها المختلفة على صهينة وقومنة مفهوم أرض إسرائيل، وشحنته بدلالات جغرافية ومكانية. وقد تبين من خلال البحث عن تمثلات أرض إسرائيل وصورها في الفكر الصهيوني أن هناك تنوعا واسعا في تمثلات ذلك المفهوم ودلالاته الجغرافية والمكانية والسياسية، فبعض التيارات صورت أرض إسرائيل بأنها: أرض الآباء والأجداد، أرض الوعد الإلهي، أرض الخلاص، أرض الوحدة القومية، أرض العمل والتضحية. وأحيانًا ومن أجل تبرير عملية استعمار فلسطين (أرض إسرائيل وفق الرؤية الصهيونية) تم خلق تماثل لأرض إسرائيل وتصويرها على أنها: صحراء، أرض جرداء، لا توجد فيها أنهار، أرض جبلية.

تبرز صورة أرض إسرائيل في فكر الصهيونية الدينية التقليدية كمكان للخلاص، ومرتبط بالتوراة بعلاقة أزلية. وأن استيطان أرض إسرائيل هو فريضة دينية، ويصور هذا التيار أرض إسرائيل بنكهة دينية توراتية ولاهوتية خلاصية. بينما حاول التيار الصهيوني القومي تصوير أرض إسرائيل بصورتين؛ الصورة الإيجابية لغرض تشجيع حركة الهجرة والاستيطان إليها كونها: أرض الأجداد والأحلام والذكريات والحقيقة؛ وبذلك عمل هذا التيار على وضع حجر الأساس في عملية قومنة أرض إسرائيل، أما النزعة الأخرى التي اتبعها هذا التيار وهي خلق صورة سلبية عن أرض إسرائيل، بأنها: أرض جرداء وقاحلة؛ وذلك لتبرير عملية الاستيطان والاستعمار في تلك الأرض التي لهم فيها ذكريات قومية وتاريخية، وهي أرض عذراء متعطشة لاحتضان الاستعمار حتى يحييها ويحولها لمركز تجاري وأرض السلام والحقيقة، وقد تأثر هذا التيار بموجة القومية الأوروبية التي بزغت في القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا.

في حين برزت صورة الأرض لدى تيار الصهيونية السياسية كصورة براغماتية ووظيفية، أكثر من التصورات القومية الرومانسية والدينية اللاهوتية؛ فالصهيونية السياسية لا ترى في الأرض فكرة قومية خالصة أو ثالوثًا مقدسًا مثل الصهيونية الدينية المعاصرة والصهيونية القومية، فالأرض في مخيال الصهيونية السياسية تتجلى كمكان للسكن، ولحل المشكلة اليهودية، ولا توجد مشكلة في جغرافيا المكان سواء أكان في شرق أم غرب العالم أم أينما كان، لكن يجدر التنويه أن التيارات الصهيونية الأخرى عارضت تصورات الصهيونية السياسية وهاجمتها بخصوص مكان إقامة الوطن اليهودي، وسعت بشكل حثيث للتركيز على فلسطين. بينما تصور الصهيونية الروحية– الثقافية أرض إسرائيل كمركز قومي روحي، وترى بأنها لا يمكنها استيعاب كل اليهود، وبذلك يبدي هذا التيار صورة مركزية روحية لأرض إسرائيل، ويعوضها من الناحية المادية بإنشاء مركز ثقافي روحاني حضاري.

لقد صورت الصهيونية العملية أرض إسرائيل كمكان للخلاص القومي والسياسي الذاتي قبل الخلاص الرباني الخارجي، وهذا الطرح عزز من صورة الأرض كمكان جغرافي يستحق العمل والتضحية والجهد والاستيطان؛ من أجل حلّ المشكلة اليهودية في أرض إسرائيل. وتبرز أهم تجليات صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية الدينية التجديدية بأنها: جزء من الجوهر القومي، أرض الخلاص، أرض الإبداع والصدق، ومصدر للتميز. يجدر التنويه أن هذا التيار من أهم التيارات الصهيونية الذي عمل على قومنة اليهودية من خلال مركباتها الثلاثة: الشعب والأرض والتوراة، فاليهود تمت قومنتهم ليصبحوا الشعب اليهودي أو

يتضح أن صورة الأرض وفكرتها لدى الصهيونية التصحيحية نابعة من أفكار قريبة نوعًا ما إلى الفكر القومي المعاصر، وهذا يتضح من خلال إقامة دولة على الأرض ومن خلال خلق أغلبية يهودية، وتظهر صورة فلسطين التي يوازيها في الفكر الصهيوني أرض إسرائيل بصورة إقليم له حدود، وصورة الأرض لدى التيار التصحيحي هي كامتداد حيوي ومجال حيوي للتوسع اليهودي شرقي نهر الأردن وغربيه.

شعب إسرائيل، وأرض إسرائيل كفكرة روحانية كانت سابقًا، تمت قومنتها لتصبح أرض إسرائيل، والتوراة ككتاب ديني لاهوتي تمت قومنته ليصبح كتاب التاريخ اليهودي القومي. كما يظهر أن هناك تراخيا في صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية الليبرالية، وتظهر دلالات أرض إسرائيل في أفكار المنظرين الصهيونيين الليبراليين بأنه لا توجد مكانة مركزية لأرض إسرائيل في فكرهم، بقدر ما يركزوا على البعد الثقافي والديني، ويجادلون بأن حل المشكلة اليهودية يمكن أن يتم من خلال تقسيم فلسطين وعدم هجرة كل اليهود إليها.

في حين تبرز صورة أرض إسرائيل لدى تيار الصهيونية التوفيقية بعدد من الصور أبرزها: أرض صغيرة، أرض جبلية، أرض الوعد الإلهي، أرض صحراء، أرض بور، أرض فيها جبال ووديان ونهر وشاطئ وصحراء. يبدو أن هناك صورة أقرب إلى الطابع الطبوغرافي لتصوير أرض إسرائيل لدى الصهيونية التوفيقة أو المركبة وذلك يعود إلى كون هذا التيار يمزج أفكار الصهيونية السياسية مع الصهيونية العملية، وبذلك تتجلى لديه بشكل واضح قابلية الاستعمار لتحقيق الوعد الإلهي، لـ «عودة اليهود» إلى أرض الجليل والنقب والشاطئ وجبال يهودا.

كما يبدو أن انشغال تيار الصهيونية الاشتراكية تركز بالأساس على صورة الدولة أكثر مما ركز على صورة الأرض، كون التيارات الاشتراكية تغلِّب المسألة الطبقية والأممية على المسألة القومية في الغالب، لكن تيار الاشتراكية الصهيونية زاوج بين البعد الطبقي والأممي والقومي، وصور أرض إسرائيل بالمنطقة الواقعة ضمن حدود بلاد الشام؛ أي فلسطين وأجزاء من الأردن وسورية ولبنان. ويتضح أن صورة الأرض وفكرتها لدى الصهيونية التصحيحية نابعة من أفكار قريبة نوعًا ما إلى الفكر القومي المعاصر، وهذا يتضح من خلال إقامة دولة على الأرض من خلال خلق أغلبية يهودية، وتظهر صورة فلسطين التي يوازيها في الفكر الصهيوني أرض إسرائيل بصورة إقليم له حدود وجيوبولتيك، وصورة الأرض لدى التيار التصحيحي هي كامتداد حيوي ومجال حيوي للتوسع اليهودي شرقي نهر الأردن وغربيه.

بينما يلاحظ خلال تتبع تمثلات وصور أرض إسرائيل في الفكر الصهيوني، أنه لا يوجد إجماع مركزي على حدودها، فهي تمتد من النيل إلى الفرات، وأحيانًا تتقلص لتشمل فلسطين وحدها، وفي صور أخرى تظهر وكأنها الأرض الواقعة غرب نهر الأردن وشرقيه، وأحيانًا تمتد لتشمل أجزاء من سورية ولبنان. كما يبرز عدم اجماع مركزي آخر ليس على جيوبولتيك أرض إسرائيل؛ وإنما على الموقع العالمي لأرض إسرائيل لتكون أحيانًا فلسطين، تركيا، أوغندا، أميركا الشمالية، الأرجنتين، ويؤكد هذا عدم الاجماع أطروحة شلومو ساند حول أسطورة اختراع أرض إسرائيل، وأن أرض إسرائيل هي فكرة روحانية وليست موقعًا جغرافيًا.

على الرغم من اختلاف صورة أرض إسرائيل لدى التيارات الصهيونية؛ إلا أن هناك تيارات مركزية نجحت في قومنة صورة أرض إسرائيل، واستفادت الصهيونية من جميع الصور المختلفة للأرض التي هندستها التيارات الصهيونية، من أجل تحقيق الهدف القومي الصهيوني. وهذا ما يدعنا نجادل بأن الحركة الصهيونية حركة قومية قد نجحت في خلق هوية قومية يهودية؛ من خلال قومنة اليهود وكتابهم المقدس (التوراة) وفكرتهم الروحانية عن أرض إسرائيل، إن عملية صناعة الهوية اليهودية وتحويل اليهودية من ديانة إلى قومية، يجعل الحركة الصهيونية حركة قومية، لكن الإشكال في هذه الحركة القومية هو طابعها الاستعماري والعدواني والاستعلائي، وبهذا تختلف الصهيونية كحركة قومية عن الحركات القومية الأخرى التي يراها أرنست جلنير حركات لها هدف سياسي يتمثل في إقامة دولة وتطبيق أيديولوجيا وطنية، وهذا ما يؤكد أن القوميات مصنوعة وليست مخلوقة.[٥٥]

الهوامش

١ أنيس صايغ (إشراف). الفكرة الصهيونية: النصوص الأساسية. لطفي العابد وموسى عنز (مترجمان). (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث. ١٩٧٠).

٢ صبري جريس. تاريخ الصهيونية (١٨٦٢– ١٩٤٨). ج١ وج٢. ط ٢. (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية– مركز الأبحاث. ٢٠١٧).

٣ للمزيد أنظر. نبيه بشير. «مراجعة كتاب متى وكيف اخترعت أرض إسرائيل.» مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد ٩٢ (٢٠١٢)، ص ١٧٨.

٤ صبري جيس، ص. ٥٠.

٥ صبري جيس، ص. ٥٠–٥١.

٦ صبري جيس، ص. ٥٣.

٧ شلومو ساند. اختراع أرض إسرائيل. أنطوان شلحت وأسعد زعبي (مترجمان). (رام الله: مدار– المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ٢٠١٣)، ص. ٣٨.

٨ شلومو ساند، ص. ٤٣.

٩ شلومو ساند، ص. ٤٥.

١٠ شلومو ساند، ص. ٤٦

١١ يجادل زيجمنت باومان بأن الهولكوست هي جزء من مسار الحداثة الأوروبية. للمزيد انظر: زيجمنت باومان. الحداثة والهولكوست. حجاج أبو جبر ودينا رمضان (مترجمان). (القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر.)٢٠١٤.

١٢ أنيس صايغ، ص.١٠–١٢

١٣ أنيس صايغ، ص.١٤–١٦.

١٤ أنيس صايغ، ص.٧٤.

١٥ صبري جريس، ص. ٧٥.

١٦ صبري جريس، ص. ٧٥–٧٦.

١٧ أنيس صايغ، ص. ٤٦

١٨ أنيس صايغ، ص. ٥٢–٥٣.

١٩ أنيس صايغ، ص. ٦٤.

٢٠ صبري جريس، ص. ٩٤–٩٥.

٢١ أنيس صايغ، ص.٩٤–٩٥.

٢٢ صبري جريس، ص. ٩٠.

٢٣ أنيس صايغ، ص. ٢٠٣.

٢٤ أنيس صايغ، ص. ٢٠٦.

٢٥ أنيس صايغ، ص. ٢٨٩–٢٩٠.

٢٦ أنيس صايغ، ص. ١١٩–١٢٠.

٢٧ صبري جريس، ص. ١٨٩.

٢٨ أنيس صايغ، ص. ٩٥.

٢٩ صبري جريس، ص. ٩٤.

٣٠ أنيس صايغ، ص. ١٥٦–١٥٧.

٣١ صبري جريس. مصدر سابق: ١٢٩.

٣٢ احاد هاعام. «الحقيقة من أرض إسرائيل» هنيدة غانم (تقديم). قضايا إسرائيلية. عدد ٤٩. (٢٠١٣)، ١١٧.

٣٣ أنيس صايغ، ص. ٢٥٩–٢٦٠.

٣٤ صبري جريس، ص. ٨٤.

٣٥ صبري جريس، ص. ٢٥٦–٢٥٧.

٣٦ أنيس صايغ. مصدر سابق: ٢٨١.

٣٧ أنيس صايغ، ص. ٣٠٨–٣٠٩.

٣٨ أنيس صايغ، ص. ٢٩٤–٢٩٥.

٣٩ صبري جريس، ص. ١٨١.

٤٠ أنيس صايغ. مصدر سابق: ٣١٩.

٤١ أنيس صايغ، ص. ٤٠٦–٤٠٥.

٤٢ أنيس صايغ، ص. ٤٤٧.

٤٣ أنيس صايغ، ص. ٤٥٣.

٤٤ أنيس صايغ، ص. ٤٥٨.

٤٥ أنيس صايغ، ص. ٤٧٤.

٤٦ أنيس صايغ، ص. ٤٧٧.

٤٧ أنيس صايغ، ص. ٤٨٥

٤٨ أنيس صايغ، ص. ٣٦–٣٧

٤٩ أنيس صايغ، ص. ٢٢٥–٢٢٧.

٥٠ أنيس صايغ، ص. ٢٢٥.

٥١ أنيس صايغ، ص. ٢٣٦.

٥٢ صبري جريس، ص.٢٢٦.

٥٣ أنيس صايغ. مصدر سابق: ٤٣٣–٤٣٤.

٥٤ أنيس صايغ، ص. ٤٣٥.

٥٥ للمزيد انظر: إرنست غلنر. الأمم والقومية. مجيد الراضي (مترجم). (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر. ١٩٩٩).